المسلّحة للدول من ستائر الكتمان والسرية، وما يتعلق بكفاءتها القتالية؛ اذ ان تقدير مدى استيعاب القوات للأسلحة والمعدات وقدرتها على استخدامها في ظروف المعركة وعلى مسرح العمليات من الامور الصعبة، بل ان التنبؤ بمستوى الصلاحية الفنية للمعدات والاسلحة أمر ليس سهلاً، ناهيك عن تقدير مستوى التدريب، وكفاءة القيادة، ومستوى الروح المعنوية للقوات، بل ربما كان ما يبدو سهلاً مثل التقدير النوعي للاسلحة والمعدات ليس أمراً بسيطاً؛ اذ ان طرازات الاسلحة والمعدات تعدّدت بحيث أصبحت المعدات التي تعرف باسم واحد تختلف عن بعضها البعض في التفصيلات، بزيادة أحد العناصر أو استبداله بعنصر آخر يفوقه في خاصية بعينها بينما يقل عنه، عادة، في خواص أخرى، وبالتالي فانه حتى في حالة المقارنة النوعية، ومراعاة فارق طرازات الاسلحة، فإن المقارنة ليست دقيقة؛ اذ يكفي، مثلاً، تغيير نوع الذخيرة، أو أحد أجهزة الاستطلاع، أو أجهزة القيادة والسيطرة، لتصبح المعدة القتالية شيئاً مختلفاً لا يجوز اعتباره من درجة المعدة الاولى نفسها التي تحمل الاسم نفسه.

ليس ما سبق محاولة للتهرب من محاولة بحث التوازن العسكري بين الدول العربية واسرائيل، ولكنه لوضع المحاولة في إطارها الصحيح، علماً بأننا نعتقد ان أفضل تقدير للعوامل غير المسيطر عليها، مثل القيادة، والتدريب، والروح المعنوية وغيرها هو تقدير الأداء الفعلي للقوات على الارض في حال وجوده، باعتباره المعبّر الحقيقي والصحيح عن محصلة العوامل المادية المسيطر عليها، والاخرى النوعية والمعنوية غير المسيطر عليها، لكن هذا غير متيسر دائماً. كما ان أداء قوات معيّنة يتغيّر بتغيّر ظروف القتال بحيث لا يمكن القطع بنتائج حرب معيّنة في تقويم احتمالات الصراع بين أحد طرفيها وطرف آخر، وربما كان مثال الصراع المسلّح بين العراق وايران مقارناً بالصراع بين العراق والولايات المتحدة الاميركية شاهداً على ذلك.

هكذا، فلا بدّ من تقبّل حقيقة مسبقة وهي أن أي تقدير للميزان العسكري هو تقدير فيه قدر من الاعتباط الذي يستحيل القطع بصحته، حتى اذا كان ذلك اعتماداً على البون الشاسع بين طرفي الصراع. فلم يكن من الممكن التنبؤ بنتائج الصراع بين الولايات المتحدة الاميركية وقوات الثوار في فيتنام، وبين الاتحاد السوفياتي السابق وقوات الثوار في افغانستان على النحو الذي انتهت اليه، بالرغم من الفارق الضخم بين القوة الاستراتيجية لأطراف الصراع، وبين قواتهم العسكرية.

اشكاليات دراسة الميزان العسكري العربي ـ الاسرائيلي

اذا كان ما سبق يوضح أهم اشكاليات دراسة الميزان والتوازن العسكري بصفة عامة، فإن دراسة الميزان والتوازن العسكري في الصراع العربي ـ الاسرائيلي لها اشكالياتها الخاصة، بالاضافة الى الاشكاليات التي سبق ذكرها. فالميزان العسكري بين العرب واسرائيل هو، نظرياً، على الاقل بين دول عربية عدة من جهة، واسرائيل من جهة أخرى؛ ولا يمكن القول بأن جميع هذه الدول يمكن احتسابها أطرافاً كاملة في الميزان. وحتى اذا اتفقنا على ذلك، فإننا لا نستطيع ان نحدد، بشيء من الدقة، مقدار مساهمة كل دولة في الميزان العسكري، وبالتالي مقدار مساهمتها في التوازن بين العرب واسرائيل.

على الطرف الآخر، فإن اعتبار اسرائيل دولة وحيدة تواجه الدول العربية مجتمعة هو، أيضاً، اعتبار خاطىء؛ اذ ان اسرائيل تتلقى، إنْ في السلم أو في الحرب، كميات من الاسلحة والمعدات العسكرية مما يجعل هذه الدول الموردة شريكاً في الميزان، وربما وصلت المساعدات العسكرية الأجنبية لاسرائيل، عند الضرورة من وجهة نظرها ونظر حلفائها، الى التدخل العسكري إما بوسائل غير